المحـاضرة12: المدرسة الوظيفية الأمريكية. **الأستاذة: وفاء دبيش.**

(سيمون ديك / أحمد المتوكل)

تمهيـــــــــــــد:

لا ينكر أحد من الدارسين اليوم أن جميع الاتجاهات اللسانية الكبرى تقر بأن اللغة تقوم بوظائف كثيرة ، و أهم هذه الوظائف على الإطلاق وظيفة التبليغ والتواصل و لكن الذي نراه مهما في هذا الصدد هو التعريف الضابط للوظيفة من كونها " المهمة الموكولة إلى عنصر لساني بنيوي (طبقة آلية(للوصول إلى هدف في إطار التواصل البشري [1] أي ما يجعلنا ننظر إلى طبيعة المهام المسندة لعناصرها و التعامل معها كنسق تواصل، الأمر الذي يعود بنا إلى أشهر التصانيف في هذا الاشتغال.

والمقصود هينا بنظرية النحو الوظيفي و هو النحو الذي تمثله جهود الباحث (سيمون ديك) المقترح سنة 1978 كمشروع يؤسس للنحو وينظم مكوناته، و ما عرض له الباحث أحمد المتوكل بتفصيل يغني عن العودة إلى غيره خاصة في كل ما قدم ودرس، و ما هو من جملة ما يكتفي به الدارس في مثل هذه الأنحاء ، وباختصار يمكننا تقديم صياغة النموذج العام لهذا النحو وأهم المبادئ التي يعتمدها.

1- نشأة نظرية النحو الوظيفي

نشأت نظرية النحو الوظيفي مع مجموعة من الباحثين بجامعة أمستردام وعلى رأسهم الباحث اللساني سيمون ديكSimon Dick " [2] ، حيث قدم الصياغة العامة للنحو الوظيفي سنة 1948م، وأرسى أسس النحو الذي يقترحه، واهتم بها في العالم العربي "أحمد المتوكل." وقد عرفت هذه النظرية رواجا كبيرا عند أتباع "سيمون ديك"، حيث أجروا عليها دراسات متعدد طبقت على مختلف اللغات الهولندية والإنجليزية والفرنسية والعربية، وكانت البداية الأولية لهذه النظرية مع مبدأين أساسين هما:

الأوّل: الانتقادات التي وجهت لـ "سيمون ديك عام 1988م)، وذلك للتحليل الذي قدمه النموذج المعيار للبنيات العاطفية، وهو اعتقاد كشف لنا قصور هذا النموذج في تحليله لبعض أنماط الجمل، لكن تجاوزا لهذا القصور قدم "ديك" سنة (1978م) و(1989م) طرحا بديلا يتمثل في الإجابات على أهم الأسئلة اللغوية المعاصرة.

وكذا تحليل "كاف" أفرز نتائج أهمها: تتحدد وظيفة اللغة في النحو الوظيفي عن طريق التفاعل الاجتماعي أي التواصل بين أفراد المجتمع البشري.

---

(1)ماريان بافو جورج إلياسرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية " - تو محمد الراضي - مركز دراسات
الوحدة العربية - طر/ 2012 - ص : 202

(2) -لغوي لساني ولد عام

يرى النحو الوظيفي أنّ القدرة لا يمكن تحديدها إلا في إطار تواصلي، في حين أن القدرة التواصلية في قدرة المتكلّم على التفاعل الاجتماعي وإنجاز نسق الاستعمال اللغوي.
تتم الاكتساب اللغوي. غير سلسلة من الاكتشافات التي يقوم بها الطفل، والتي يهدف من خلافها إلى تأسيس نسق لغته الأم. يقوم النحو الوظيفي بدراسة التركيب والدلالة من منظور تداولي.
ثانيا : تتحدّد خصائص العبارات اللغوية بالربط بين المفردات أو بين بالجمل، وعلى هذا الأساس فإن الوظائف الدلالية التركيبية والتداولية يمكن ممارستها انطلاقا من المقولات الشجرية كالمركب الإسمي أو المركب الفعلي، الذي لا يرد إلا في بعض اللغات، ولهذا أصبح التمثيل التحتي للعبارات اللغوية في هذه المقاربة بنية وظيفية لا ترتيب فيها، تنقلها إلى بنية سطحية مرتبة.

2- أسس نظرية النحو الوظيفي :

من مميزات نظرية النحو الوظيفي أنها لم تغال كثيرا في وضع الأسس وصياغة المبادئ المتعددة مما سهل عليها اكتساب جمهور واسع بين الباحثين، جنبا على جانب قدرتها التحليلية العميقة التي تتوافق نتائجها مع النتائج التي سبق لبعضها وان توصل إليها علماء العرب بالنسبة للغة العربية واللغتين الإنجليزية والفارسية، بمعنى أنها لم تصل على نتائج ستبدو غريبة لمتكلم اللسان أو لمحلله على حد سواء، ومن هذه الأسس،الآتي:

أ- **المنطق**: تستهل نظرية النحو الوظيفي أسمها يكون الوظيفة الجوهرية التي تقوم عليها اللغة هي التواصل لا غير.

أما الوظائف المتبقية ماهي إلا وظائف ثانوية فقط. ف" النحو الوظيفي يسعى إلى أن يكون نظرية لسانية توصف اللغات الطبيعية في إطارها من وجهة نظر وظيفية أي من الوجهة النظرية التي تعتبر الخصائص البنيوية للغات محددة (جزئيا على الأقل) بمختلف الأهداف التواصلية التي تستعمل اللغات لتحقيقها "[1] . إذن تعمل نظرية النحو الوظيفي باعتبارها نظرية لسانية على وصف اللغات من حيث الوظائف التي تؤديها، والعلاقة التي تربط بنية اللغة، ودورها في تحقيق الوظيفة التواصلية.

ب- **موضوع الدرس:** فموضوع الدرس اللساني يتمحور حول القدرة التواصلية (cominication compétence وهي ثنائية "القدرة والإنجاز" باعتبار "القدرة" معرفة المتكلم السامع للغته، و"الإنجاز " استعمال هذه المعرفة الفعليا، ومن المعلوم أن مفهوم القدرة في النظرية التوليدية التحويلية تطور بتطور هذه النظرية حيث كان مقصورا على المعرفة اللغوية (الصرف التركيبية والدلالية والصوتية) ثم أصبح يشمل

(1)أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ص 10،11 بتصرف

كذلك المعرفة التداولية "[1] ، يفهم من هذا القول أن قدرة المتكلم هي قدرة تواصلية تستلزم معرفة القواعد التداولية، إضافة إلى المعرفة اللغوية مثل: الصرف والتركيب والدلالة والصوت، والإنجاز هو عملية استخدام المتكلم للغته حسب المقام الذي يريد التكلم فيه، والغرض الأسمى منها هو سهولة التواصل، وذلك عن طريق فهم المتلقى ما يقوله المتكلم.

ج- **ضوابط الوصف اللغوي:** إن أي نظرية مما كان نوعها تقوم على أسس لتكون نظرية قائمة بذاتها" ومطامح نظرية النحو الوظيفي تتلخص في ثلاثة مطامع : الكفاية التداولية والكفاية النفسية والكفاية التغطية. وتشكل هذه المطامح، في الوقت ذاته، ضوابط للنظرية تتم على ضوئها المفاضلة بين مختلف النماذج التي يمكن أن تفرزها [2] ، ومنه تتكون نظرية النحو الوظيفي من كفايات أساسية كالتداولية النفسية، والنمطية، وعليها تتأسس أو تنبني نظرية النحو الوظيفي على بعض نتائج العلوم التي حققت قفزة نوعية في مجالات التحليل مثل التداولية وعلم النفس الاجتماعي وحتى الإبستمولوجيا، ومن بين محددات هذه الأخيرة، ما يلي:

- **الكفاية التداولية Paganie Adapay** عرف سيمون ديك الكفاية التداولية بقوله:" نريد من النحو الوظيفي أن يكشف لنا عن خصائص العبارات اللغوية التي لها علاقة بالكيفية التي تستعمل بها هذه العبارات وأن يفعل ذلك بالطريقة التي تمكن من ربط هذه الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التفاعل اللغوي " [3] ، وبهذا قدم لنا سيمون ديك تعريفا شاملا للكفاية

التداولية مفاده أن النحو الوظيفي يسعى إلى الإبانة عن مميزات العبارات اللغوية، وعلاقتها بطرق استعمال هذه العبارات، وأن يقوم بذلك بالكيفية التي تجعله يدمج الخصائص بالقواعد والمبادئ التي لها القدرة على خلق تفاعل لغوي.

- **الكفاية النفسية :Paychological Adequacy** تسعى نظرية النحو الوظيفي من خلال الكفاية النفسية إلى تحقيق ثنائية الفهم والإنتاج حيث حددها سيمون ديك بأنيا" تنقسم النماذج النفسية بطبيعة الحال إلى نماذج إنتاج ونماذج فهم، تحدد نماذج الإنتاج كيف يبني المتكلم العبارات اللغوية وينطقها، في حين يحدد نماذج الفهم كيفية تحليل المخاطب للعبارات اللغوية وتأويلها وعليه فإن الهدف من تقسيم الكفاية النفسية إلى نماذج إنتاج وإفهام هو أن نماذج الإنتاج تتطرق إلى عملية بناء المتكلم للعبارات وصياغتها لغويا . أما نماذج الفهم فهي الطريقة التي يحلل بها المتلقي العبارات وتأويلها بشكل مناسب.

---

(1)أحمد المتوكل التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات، ط1، 2010م، دار الأمان، الرباط، المغرب، ص 48

(2)احمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي نط، 1995، دار الأمان الرباط، المغرب، ص 19.

(3)احمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التحتية او التمثيل الدلالي التداولي، ص 19

3- نقد المبادىء الوظيفية:

و الذي تجدر الإشارة إليه هو عزوف الكثير من الدارسين المعاصرين المهتمين بالحقول الوظيفية عن مسألة هامة و في غاية الضرورة و هي " عدم التكافؤ الوظيفي بين هذه المبادئ ، إن من جهة القيمة النظرية ، و إن من جهة البعد الوظيفي و إن من جهة الإجراء التحليلي العملي ، كما أنها ليست ذات طبيعة واحدة ، فبعضها عبارة عن منطلقات مبدئية، كالمبدأ الأول المتعلق بالوظيفة الأساسية للغات

الطبيعية ، وبعضها عبارة عن غايات يسعى الوصف اللغوي إلى تحقيقها ، قد يصل إليها و قد لا يصل

إليها إطلاقا ، كالمبدأ الثالث المتعلق بالكفايات الثلاث ... و بعضها مجرد سمة تمييزية موضوعية ... كالمبدأ الرابع[1]

أما عن التصور القاضي بتبني الكفاية النفسية من حيث هي إحدى مباحث النحو الأكفى بالإضافة

إلى الكفاية النمطية والكفاية التداولية ، فإن ديك يتبنى الرأي الذي يرى من خلاله مخالفة تشومسكي

من جهة القدرة اللغوية والواقعية النفسية الملائمة، إذ يتأسس النقد هنا عند سيمون ديك في " لقد

اعتمد تشومسكي الجمل المجردة معطياته الأساس التي تدله على مكونات الملكة النحوية وبنيتها وطريقة

عملها إلا أن النماذج النحوية التي أقامها لتمثيل هذه الملكة لم تحقق مطلب الواقعية النفسية فاضطر إلى القول إن مسألة الواقعية النفسية ليست من حيث المبدأ أكثر أو أقل حساسية من مسألة الواقعية الفيزيائية للبناءات النظرية التي يقيمها الفيزيائي (تشومسكي 1980 ب:192). ومعنى ذلك أن الواقعية النفسية ليست شيئا آخر غير التفسيرات التي يقيمها اللساني للظواهر اللغوية، وأن النحو الذي يرقى إلى الواقعية النفسية هو النحو الذي يساهم في تفسير هذه الظواهر والأحكام اللغوي ومن الجلي أن هذا التأويل لمفهوم الواقعية النفسية سجل تراجع تشومسكي عن أعظم طموحاته العلمية ذلك لأن هذا التأويل لا يسمح على نحو صحيح ودقيق بالمفاضلة بين الأنحاء على أساس الواقعية النفسية ما دامت الأوصاف اللغوية المبررة لسانيا لا يُشترط فيها أن تماثل الأوصاف اللغوية القائمة في ذهن المتكلم أو في ملكته اللغوية. وهو تأويل يُفرغ افتراض القدرة من مضمونه، ولا يؤكد الدور الذي ينبغي أن يقوم به النحو في أي نموذج معقول لمستعملي اللغات الطبيعية، حسب بريزنن وكابلن [2](1982) على هذا الأساس يمكننا

---

(1)مسعود صحراوي : مقال بعنوان : من التنظير التداولي إلى التطبيق النحوي - علاقة البنية بالوظيفة في دلائل الإعجاز " ضمن
مجموعة بحوث مختلفة - التداوليات وتحليل الخطاب - دار كنوز المعرفة / الأردن 2014. ص : 669

(2)عز الدين البوشيخي : المقال السابق.

القول بأن ديك " اشترط في النحو الذي يحقق الكفاية النفسية أن لا يتعارض مع الفرضيات النفسية القوية القائمة حول معالجة اللغة وأن يكون قادرا على الاندماج بصورة طبيعية في أي نموذج معقول المستعملي اللغات الطبيعية. وبعد السعي في تحقيق الكفاية النفسية من أهم العوامل التي أدت إلى ظهور النحو الوظيفي الخطابي ويتمثل ذلك في المظاهر الثلاثة الآتية:

أ. مطابقة مراحل إنتاج الكلام وفق نماذج الإدراك.

ب. الفصل بين مستوبي الدلالة والتداول، وإيلاء الأسبقية لتمثيل للمعلومات التداولية.

ج. التزام الواقعية في تحديد المعطيات اللغوية المتمثلة في الأفعال الخطابية.

كما تمت صياغة هذا النحو بصورة تجعله وفيا لمبدأ الوظيفية القاضي بأسبقية التمثيل للمعلومات التداولية على غيرها من المعلومات، وتجعله نحوا مؤسسا تداوليا حقا. حيث يشرف التداول على الدلالة، ويشرف كل من التداول والدلالة على التركيب، ويشرف كل من التداول والدلالة والتركيب على الصواتة. فالانطلاق في إنتاج الفعل الخطابي يتم من المستوى العلاقي حيث يمثل للمعلومات التداولية وهو أول مستوى في بنية النحو الوظيفي الخطابي، ثم ينتقل بعد ذلك إلى المستوى التمثيلي حيث يمثل للمعلومات الدلالية.

خـــــــاتمة :

إن نظرية النحو الوظيفي الذي أصبح علما قائما بذاته ومدرسة عملاقة تحاول أن تعيد قراءة الإنحاء التقليدية بالتشديد على الأدوار الدلالية والتداولية، مبينة الوظائف الأساسية للغة سواء أكان من الناحية الداخلية أم الخارجية هي نظرية واعدة في فهم أكثر للبنية اللغوية وتوسيع لحدود المقاربة والتحليل فهي نظرية تحاول أن تدرس اللغة بشمولية وشاسعة لتصل إلى كلّ ما يتصل بها من سياقات ومقامات ومقولات داخلية من الناحية التركيبة والنفسية والاجتماعية وتحت مراقبة صارمة جدًّا من لدن الإبيستيمولوجية من حيث المنهجية والتحقق من النتائج، وبالنسبة للقارئ العربي فإنّ هذه النظرية أكثر فاعلية في تفسير البنيات اللغوية للعربية، وقد ترك المتوكل ومازال في نشاط دؤوب وهو في عمر الثمانين عاما يؤلف ويشرح ويفسر ويجوب العالم العربي محاولا تقديم هذه النظرية من أصولها وهي واحدة من الفرص التي يجب استثمارها بشكل جيد.